المختصر النافع من الجزء الخامس عشر من تفسير الامثل

زهراء كرار فاضل

إشراف : أ.د. علي عباس الاعرجي

كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة

The beneficial summary of the fifteenth part of Tafsir al-Athmal

Zahraa Karar Fadel

supervision : Prof.Dr. Ali Abbas Al-Araji

College of Education for Girls / University of Kufa

سورة الإسراء

وهي مائة وإحدى عشر آية مكية

أسماء السورة :

بالرغم من أنّ الاسم المشهور لهذه السورة هو (بني إسرائيل) إلّا أنّ لها أسماء أُخرى مثل (الإسراء) و (سبحان) .. فهي (بني إسرائيل) ؛ لأنّ هناك قسمًا مهمًا في بداية السورة ونهايتها يرتبط بالحديث عن بني اسرائيل ، وإذا قلنا أنّها سورة (الإسراء) فإنّ ذلك يعود إلى الآية الأُولى فيها التي تتحدث عن إسراء ومعراج النبي الأكرم ﷺ ، وأمّا تسميتها ب(سبحان) فإنّ ذلك يعود إلى الكلمة الأُولى في السورة المباركة .

أهم محتوى السورة :

١- الإشارة إلى أدلة النبوة الخاتمة وبراهينها ، وفي مقدمتها معجزة القرآن وقضية المعراج .

٢- ثمّة بحوث في السورة ترتبط بقضية المعاد .

٣- تتحدّث السورة في بدايتها ونهايتها عن قسم من تاريخ بني إسرائيل المليء بالأحداث .

٤- تتعرض السورة إلى حرية الاختيار لدى الإنسان ، وأنّ الإنسان غير مجبر في أعماله، وبالتالي فإنّ على الإنسان أن يتحمّل مسؤولية تلك الحريّة عبر تحمّله لمسؤولية أعماله سواء كانت حسنة ، أو سيئة .

٥- تبحث السورة قضية الحساب والكتاب في هذه الدنيا ؛ لكي يعي الإنسان مسألة الحساب والكتاب على أعماله وأقواله في الدنيا والآخرة .

٦- تشير الى الحقوق في المستويات المختلفة ، خصوصًا فيما يتعلق بحقوق الأقرباء ، وبالأخص منهم الأم والأب .

٧- تتعرض السورة إلى حرمة الإسراف والتبذير ، و البخل ، وقتل الأبناء والزنا ، وأكل مال اليتيم ، والبخس في المكيال والتكبر وإراقة الدماء .

٨- في السورة بحوث حول التوحيد ومعرفة الله تعالى .

٩- تواجه السورة مواقف العناد والمكابرة إزاء الحق ، وأنّ الذنوب تتحوّل إلى حجب تمنع الإنسان من رؤية الحق .

١٠- تركّز السورة على أفضلية الإنسان على سائر الموجودات .

١١- تؤكّد السورة تأثير القرآن الكريم في معالجة الأشكال المختلفة من الأمراض الأخلاقية والاجتماعية .

١٢- تبحث السورة في المعجزة القرآنية ، وعدم تمكن الخصوم وعجزهم عن مواجهة هذه المعجزة .

١٣- تحذّر السورة المؤمنين من وساوس الشيطان وغوايته ، وتنبههم إلى المسالك التي ينفذ عن طريقها إلى شخصية المؤمن .

١٤- أشارت السورة إلى مجموعة مختلفة من القضايا والمفاهيم والتعاليم الأخلاقية .

١٥- تتعرض السورة إلى مقاطع من قصص الأنبياء ﷺ ؛ ليتسنى للإنسان استيعاب الدروس والعبر من هذه القصص .

شرح السورة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي .. هُوَ ٱلسَّمِيعَ ٱلْبَصِير ﴾ الآية الاولى في سورة الإسراء تتحّدث عن إسراء النبي ﷺ أي سفره ليلًا من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في (القدس الشريف)، وقد كان هذا السفر مقدمة لمعراجه إلى السماء ، وقد لوحظ أنّه تم في زمن قياسي حيث لم يستغرق سوى ليلة واحدة بالنسبة إلى وسائل نقل ذلك الزمن ؛ ولهذا كان أمرًا اعجازيًا وخارقًا للعادة لقد كان الهدف من هذا السفر الإعجازي أن تمتلئ روح

رسول الله ﷺ أكثر بدلائل العظمة الربانية ، وآيات الله في السموات ، ولتجد روحه السامية في هذه الآيات زخمًا إضافيًا يوظّفه ﷺ في هداية الناس إلى ربّ السماوات والارض .

الآية ٢ إلى ٨ ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى .. للكَافِرِين حَصِيرًا ﴾ كشفت آيات السورة عن موقف المشركين ، والمعارضين لمثل هذه الأحداث ، وبيّنت استنكارهم لها ، وعنادهم إزاء الحق ، انعطفت هذه الآيات إلى قوم موسى عليه السلام تقول للرسول ﷺ أنّ تأريخ النبوّة واحد ، وإنّ موقف المعاندين واحد أيضًا ، وأنّه ليس من الجديد أن يقف الشرك القريشي موقفه هذا منك ، وبين يديك الآن تأريخ بني إسرائيل في موقفهم من موسى عليه السلام ، إنّ التوحيد في العمل واحدٌ من معالم أصل التوحيد ، الآية تقول : لا تتكئ على أحد سوى الله ، والآية تخاطب بني إسرائيل بأنّهم أولاد من كان مع نوح عليه السلام، وعليهم أن يقتدوا بطريق أسلافهم وآبائهم في الشكر لأنعم الله ، والمقصود من الارض في الآية هي أرض فلسطين المقدسة التي يقع المسجد الأقصى المبارك في ربوعها ، أمّا الآية التي تليها فتفصّل ما أجملته من إشارة إلى الإفسادين الكبيرين لبني إسرائيل ، والحوادث التي تلت ذلك على أنّها عقوبة إلهية ، وارتكبتم ألوان الفساد والظلم والعدوان ، ثم تشير بعد ذلك إلى أنّ الألطاف الإلهية ستعود لتشملكم ، وسوف تعينكم في النصر على أعدائكم وهذه المنّة واللطف الإلهي عليكم لتعودوا إلى أنفسكم ، وتصلحوا أعمالكم وتتركوا القبائح والذنوب ، تقول الآية في وصف المشهد الثاني حين يحين الوعد الالهي سوف تغطّيكم جحافل من المحاربين ويحيق بكم البلاء إلى درجة أنّ آثار الحزن والغم تظهر على وجوهكم بل ويأخذون منكم حتى بيت المقدس ، ويحتلون بلادكم ويأخذون جميع أرضكم ويدمرونها عن آخرها ، وفي هذه الحالة فإنّ أبواب التوبة الإلهية مفتوحة ، إن عدتم لنا بالتوبة فسوف نعود عليكم بالرحمة، وإن عدتم للإفساد عدنا عليكم بالعقوبة ، واذا كان هذا جزاؤكم في الدنيا ففي الآخرة مصيركم جهنم .

الآية ٩ إلى ١٢ ﴿ إِنَّ هَذَا القُرءَانَ يَهدِي لِلَّتِي ... فَصَّلنَهُ تَفصِيلًا ﴾ إنّ القرآن الكريم يمثّل أقصر طرق الاستقامة والثبات والهداية ، وإنّ المنهج الأقوم بالنسبة للنظم والسلطات

الحاكمة ، هو كل ما يدفعها إلى إقامة العدل والدعوة إلى إشاعة الإنصاف ، ومواجهة الظلم والظالمين ، بعد ذلك تشير الآيات إلى موقف الناس في مقابل الكتاب الأقوم .

الآية التي بعدها تشير إلى إحدى العلل المهمة لعدم الإيمان ، وتقول بأنّ عجلة الإنسان وتسرّعه ، وعدم اطلاعه على الأُمور وإحاطته بها تسوقه إلى أن يساوي في جهده بين دعائه بالخير وطلبه ، وبين دعائه بالشر وطلبه نتيجة سوء تقدير الانسان ، واضطراب مقياسه في رؤية الخير والحقيقة ، إلى أن يطلب من الله الشر تماما كما يطلب منه الخير ، وأنّه يسعى وراء الأعمال السيئة كسعيه وراء الأعمال الحسنة ، وهذا الاضطراب وفقدان الموازين هو أسوأ بلاء يُصاب به الإنسان ويحول بينه وبين السعادة الحقيقية ،أمّا الآية التي بعدها فتتحدث عن تعاقب الليل والنهار ومنافع هذا التعاقب ، والمثال أيضا يفيد معنى التأمل والهدوء ويدعو إلى الحذر من التعجّل والتسرّع ، حيث تنطلقون نهارا في الكسب والعمل والمعاش مستثمرين العطايا الإلهية وتنعمون ليلًا بالراحة والهدوء والاستقرار .

الآية ١٣ إلى ١٥ ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ ... حَتّى نَبعَثَ رَسُولًا ﴾ لقد تحدثت الآيات القرآنية السابقة عن القضايا التي تتصل بالمعاد والحساب ، وذكرت الآية الطائر ويعني الطير لكن الكلمة هنا تشير الى معنى اخر كان سائدا ومعروفا بين العرب إذ كانوا يتفألون بالطير ويعتمدون على طبيعة حركة الطير ، وإنّ القرآن قد بيّن أنّ التفاؤل الحسن والسيّء ، أو الحظ النحس والجميل إنّما هي أعمالكم لا غير، وهذه الاعمال لا تنفصل عنكم في الدنيا والآخرة ، والمقصود من الكتاب في الآية الكريمة هي صحيفة الأعمال لا غير ، ومسألة المصير بدرجة من الوضوح والعلنية والانكشاف بحيث لا مجال لإنكارها ، وتذكر الآية (الوزر) بمعنى الحمل الثقيل وأيضا بمعنى المسؤولية ، وتقوم ببيان التكليف وإلقاء الحجة.

آية ١٥ إلى ١٧ ﴿ وَإِذَا أَرَدنَا أَن نَهلِكَ ... خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ تتحدث الآيات على أنّ العقاب الإلهي لا يمكن أن ينزل بساحة شخص ، أو مجموعة ، أو أُمّة من دون أن تكون هناك حجة، وبيان للتكليف من قبل الرسول والانبياء ﷺ ، إنّ الله لا يعاقب أو يؤاخذ أحدًا بالعذاب قبل أن يتمّ الحجة عليه ، وقبل أن يتّضح ويستبين تكليفه ففي البداية يضع الله تعليماته

وأوامره أمام الناس فإذا التزموا بها وأطاعوا فستنالهم سعادة الدنيا والآخرة ، أمّا إذا عصوا وخالفوا ولم يقبلوا الأوامر والنواهي الربانية ، فسيحيق بهم العذاب ويؤدّي إلى هلاكهم .

آية ١٨ إلى ٢١ ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ ... وَأَكبَرُ تَفضِيلًا ﴾ تتحدّث هذه الآيات عن الذين عصوا أوامر الله تعالى ، وكيف أهلكهم الله ؛ لذا فإنّ هذه الآيات تشير إلى سبب التمرّد على شريعة الله والعصيان لأوامره وهذا السبب هو حبّ الدنيا ، ونرى في الكثير من الآيات القرآنية مدحًا وتمجيدًا للدنيا وبإمكاناتها المادية ، ولكن وبرغم الأهمية الكبرى التي تختص بها النعم المادية ، فإنّ القرآن الكريم استعمل أنساقًا اخرى تحقّرها وتحطّ منها بقوة .

آية ٢٢ إلى ٢٥ ﴿ لَّا تَجعَل مَعَ الله ... لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ الآيات التي نحن بصدد بحثها هي بداية لسلسلة من الاحكام الإسلامية الأساسية والتي تبدأ بالدعوة إلى التوحيد والإيمان ، التوحيد الذي يعدُّ الأساس والأصل لكل النشاطات الإيمانية والأعمال الحسنة والبناءة ، في البداية تبدأ هذه الآيات بالتوحيد ، تذكر أن لا تجعل معبودا آخر مع الله لا في العقيدة ، ولا في العمل ، ولا في الدعاء ، ولا في العبودية . وأحد مصاديق هذه العبادة متمثلًا بالإحسان إلى الوالدين .

آية ٢٦ إلى ٣٠ ﴿ وَءَاتِ ذَا القُربَى حَقَّهُ ... خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ مع هذه الآيات يبدأ الحديث عن فصل آخر من سلسلة الأحكام الإسلامية الأساسية التي لها علاقة بحقوق القربى، والفقراء والمساكين ، والإنفاق بشكل عام ينبغي أن يكون بعيدًا عن كل نوع من أنواع الإسراف والتبذير ، وإنّ التبذير هو هدر المال في غير موقعه ولو كان قليلًا بينما إذا صُرف في محلّه وبإخلاص لوجه الله فلا يعدُّ تبذيرًا ولو كان كثيرًا .

آية ٣١ إلى ٣٥ ﴿ وَلَا تَقتُلُوا أَولَادَكُم ... وَأَحسَنُ تَأوِيلًا ﴾ تتحدث هذه الآيات عن ستة أحكام إسلامية أخرى وردت في ست مواضع ، أولًا : تشير الآية إلى فعلٍ قبيح وجاهلي هو أعظم الذنوب ، ثانيًا : الآية التي بعدها تشير إلى ذنب عظيم آخر هو الزنا ، ثالثًا : الحكم الآخر الذي تشير إليه الآية التي بعدها هو احترام دماء البشر ، وتحريم قتل النفس ، رابعًا : الآية التي بعدها تشير إلى حفظ مال اليتيم ، خامسًا : تشير الآية بعد ذلك إلى

الوفاء بالعهد، سادسًا : آخر حكم يتصل بالعدل في الوزن والكيل ، ورعاية حقوق الناس في ذلك، ومحاربة المطففين في الميزان .

آية ٣٦ إلى ٤٠ ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ ... قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ تشير هذه الآيات إلى عدد من الأحكام المهمة : أولا : في البداية ينبغي للإنسان المسلم أن يلتزم الدقة في كل الامور ويجعل العلم رائده ، ثانيا : تدعو الآية التي بعدها إلى محاربة الكبر والغرور ، وتنهي المؤمنين عن هاتين الصفتين ، ثالثا : من أجل التأكيد أكثر على أنّ كل هذه التعليمات إنّما تصدر من الوحي وتتسم بالحكمة ، رابعًا : آخر آية من الآيات التي نبحثها تشير إلى واحدة من الأفكار الخرافية للمشركين ، إذ الكثير منهم يعتقد بأنّ الملائكة هم بنات الله في حين أنّهم كانوا يعتبرون البنت عارًا وشنارًا ، وولادتها في بيت يؤدي إلى سوء الحظ .

آية ٤١ إلى ٤٤ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ... حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ هذه الآيات تتعلق بقضيتي التوحيد والشرك ؛ لذا فإنّ هذه الآيات تتابع هذا الموضوع بوضوح وقطعية أكبر ، ففي البداية تتحدث عن لجاجة بعض المشركين وعنادهم في قبال أدلة التوحيد ، وتشير إلى واحد من أدلة التوحيد والذي يعرف بين العلماء والفلاسفة بعنوان (دليل التمانع) ، ومن أجل إثبات عظمة الخالق وأنّه منزه عن خيالات ، واعتقادات ، وأوهام المشركين ذكرت تسبيح كائنات الوجود لذاته المقدّسة .

آية ٤٥ إلى ٤٨ ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ ... يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ سبب النزول قيل في قوم كانوا يؤذون النبي ﷺ بالليل إذا تلا القرآن وصلّى عند الكعبة ، وكانوا يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين ، فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه ، هذا الحجاب والساتر هو نفسه التعصب واللجاجة والغرور والجهل ، الآية التي بعدها إننا غطّينا قلوبهم بأستار لكي لا يفهموا معناه وجعلنا في آذانهم ثقلًا.

آية ٤٩ إلى ٥٢ ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا... إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الآيات تتحدث عن المعاد والذي يعدُّ مكمّلًا للتوحيد ، إنّ التعبير القرآني في هذه الآية يدل على أنّ الرسول ﷺ كان يبين في دعوته المعاد الجسماني بعد موت الانسان ، والقرآن في اجابته على هؤلاء يبين قضية بعث

عظام الانسان سهلة وممكنة ، بل أكثر من ذلك عند الله تعالى فحتى لو كنتم اشدّ من الحجر والحديد ، وأبعد منهما عن الحياة فإنّ البعث سيكون مصيركم ، وتتكلم هذه الآيات عن القيامة وكيف هي قريبة منا وذكرها لعالم البرزخ بعد الموت.

آية ٥٣ إلى ٥٧ ﴿ وَقُل لِعِبَادِي ... كَانَ مَحْذُورًا ﴾ توضح الآيات أسلوب المحادثة والاستدلال مع المعارضين وخاصة المشركين ؛ لأنه مهما كان المذهب عالي المستوى والمنطق قويًا ؛ فإنّ ذلك لا تأثير له ما دام يتزامن مع اسلوب صحيح للبحث والمجادلة مرفقا بالمحبة بدلا من الخشونة ، وإنّ الاتهامات التي يطلقها المشركون ضد رسول الله ﷺ ويتهمونه فيها بالسحر والجنون ، والكهانة والشعر ، قد تكون سببًا في أن يفقد المؤمنون السيطرة على انفسهم فيبدأون بالتشاجر مع المشركين ، ويستعملوا الالفاظ الخشنة ضدهم ، القرآن يمنع المؤمنين من هذا العمل ويدعوهم إلى التزام اللين ، والتلطف بالكلام ، واختيار أفضل الكلمات في أسلوب التخاطب حتى يأمنوا من افساد الشيطان.

آية ٥٨ إلى ٦٠ ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ ... طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ تبدأ بالكلام على شكل نصيحة ؛ لتوعيتهم حيث تجسم النهاية الفانية لهذه الدنيا أمام عقولهم حتى يعرفوا أنّ هذه الدنيا دار زوال ، وأنّ البقاء الأبدي في مكان آخر لذلك ما عليهم الّا تهيئة أنفسهم لمواجهة نتائج أعمالهم، فالطغات والظالمون سيبيدهم الله بوساطة العذاب ، أمّا الآخرون فيهلكون بالموت أو الحوادث الطبيعية فإنّ الدنيا زائلة والكل يسلك طريق الفناء.

آية ٦١ إلى ٦٥ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ... بِرَبِكَ وَكِيلًا ﴾ تشير هذه الآيات إلى قضية امتناع إبليس عن طاعة أمر الله في السجود لآدم (عليه السلام) والعاقبة السيئة التي انتهى إليها، بعد ما ذكر عن المشركين المعاندين هو إشارة إلى أنّ الشيطان يعدّ نموذجًا كاملًا للاستكبار والكفر ، وإنّ هذه السجدة التي أمر الله تعالى بها هي نوع من الخضوع والتواضع ؛ بسبب عظمة خلق آدم عليه السلام وتميز عن سائر الموجودات ، أو هي سجود للخالق جل وعلا في قبال خلقه لهذا المخلوق المتميز، فقد سيطر الكبر والغرور على ابليس ، وتحكمت الانانية في عقله ظنًّا منه بأنّ التراب والطين اللذان يعدّان مصدرًا لكل الخيرات ، ومنبعًا للحياة أقل شأنًا ،

وتأثيرًا من النار لذا اعترض على الخالق جلّ وعلا.

آية ٦٦ إلى ٦٩ ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي... بِهِ تَبِيعًا ﴾ هذه الآيات في مجال التوحيد ومحاربة الشرك ، ودخلت في البحث عبر طريقتين مختلفتين هما: طريق الاستدلال والبرهان ، وطريق الوجدان ومخاطبة الانسان من الداخل ، يذكر فيها السفن وكيف هي وسيلة لحمل الانسان في البحار وعن حاجة الانسان الى السفر في البحر.

آية ٧٠ إلى ٧٢ ﴿ وَلَقَد كَرَّمنَا بنِي ءَادَمَ ... وَأَضَلُ سَبِيلًا ﴾ الانسان سيد الموجودات إنّ واحدة من أبرز طرق الهداية والتربية هي التنويه بشخصية الانسان ومكانته ومواهبه ، يقوم هنا بتبيان الشخصية الممتازة للإنسان ، والمواهب التي منحها إياها رب العالمين ؛ لكي لا يلوث الانسان جوهره الثمين ، ولا يبيع نفسه بثمن بخس ، في حين أنّ الصلاة توضح العلاقة بين الخالق والمخلوق ، والصيام هو رمز محاربة الشهوات ، والزكاة تحدد العلاقة بين الخلق والخالق ، والحج يكشف الجانب الاجتماعي في الاسلام.

آية ٧٣ إلى ٧٥ ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفتِنُونَكَ... عَلَينَا نَصِيرًا ﴾ الآيات تحذر الرسول ﷺ من وساوس وغواية هذه المجموعة ، حيث لا يجوز أن يبدي أدنى ضعف في محاربة الشرك ، وعبادة الاصنام بل يجب الاستمرار بصلابة أكبر.

آية ٧٦ إلى ٧٧ ﴿ وَإِن كَادُوا لَيستَفِزونَكَ... تَحوِيلًا ﴾ وضع المشركون خطة للقضاء على دعوة الرسول ﷺ ، وهذه الخطة تقضي بإبعاد الرسول ﷺ عن مسقط رأسه مكة إلى مكان آخر قد يكون مجهولًا وبعيدًا عن الأنظار ، إلّا أنّ هذه الخطة فشلت أيضًا بلطف الله، وإنّ مثل هؤلاء الأقوام لا يستحقون رحمة الخالق وإنّ العقاب سيشملهم.

آية ٧٨ إلى ٨١ ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ... كَانَ زَهُوقًا ﴾ تبحث هذه الآيات عن الصلاة والدعاء والارتباط بالله ، والتي تعدّ عوامل مؤثرة في مجاهدة الشرك ، ووسيلة لطرد غواية الشيطان ووسوسته من قلب وروح الإنسان ، وتعدُّ هذه الآيات التي تشير بشكل إجمالي إلى أوقات الصلوات الخمس يمكن تحديد أوقات الصلوات الخمس بشكل دقيق ، آية ٨٢ ﴿ وَنُنَزِلُ مِنَ...﴾ تشير الآية إلى التأثير الكبير للقرآن الكريم ، ودوره البناء في هذا المجال وإنّ الشفاء

مقابل الامراض والعيوب والنواقص ؛ لذا أول عمل يقوم به القرآن في وجود الانسان هو تطهيره من أنواع الأمراض الفكرية والأخلاقية الفردية منها والاجتماعية.

آية ٨٣ إلى ٨٤ ﴿ وَإِذَآ أنعَمنَا... سَبِيلًا ﴾ تشير الآية إلى أحد أكثر الامراض تجذرًا في المجتمع ، وأنّ الشاكلة تطلق على كل عادة وطريقة ومذهب واسلوب يعطي الانسان اتجاهًا معينًا ؛ لذا فإنّ العادات والصفات التي يكتسبها الانسان بتكرار الأعمال اختيارًا واراديًا ، وكذلك الاعتقادات التي يقتنع بها ويعتمدها بسبب الاستدلال ، أو التعصب لرأي معين يطلق عليها كلها كلمة (شاكلة) .

آية ٨٥ ﴿ وَيَسألونَك عَنِ الرُّوح..﴾ سألوا عن حقيقة الروح الانسانية هذه الروح العظيمة التي تميز الانسان عن الحيوان ، وقد شرفتنا بأفضل الشرف حيث تنبع كل نشاطاتنا وفعالياتنا منها وبمساعدتها نكتشف أسرار العلوم.

آية ٨٦ إلى ٨٧ ﴿ وَلَئن شِئنَا... عَلَيكَ كَبِيرًا ﴾ تتحدث عن القرآن أيضًا ففي البداية تقول إنّنا نحن الذين أعطيناك هذه العلوم ؛ حتى تكون قائدًا وهاديًا للناس ، ونحن الذين إن شئنا استرجعناها منك وليس لأحد أن يعترض على ذلك ، الآية التي بعدها جاءت لتستثني ذلك فهي تبين أنّنا إذا لم نأخذ ما أعطيناك فليس ذلك سوى رحمة من عندنا ، وهذه الرحمة لأجل هدايتك وإنقاذك.

آية ٨٨ إلى ٨٩ ﴿ قُل لَّئنِ اجتَمَعَتِ... إلا كُفُورًا ﴾ تتحدث عن اعجاز القرآن ؛ ولأنّ الآيات اللاحقة تتحدث عن حجج المشركين في مجال المعجزات فأن هذه الآيات مقدمة للبحث القادم حول المعجزات.

آية ٩٠ إلى ٩٣ ﴿ وَقَالُوا لَن نّؤمِنَ... بَشَرًا رّسُولًا ﴾ تشير هذه الآيات إلى ذرائع المشركين، بعد أن اجتمع جماعة من قريش على الرسول ﷺ ، وقال قائل منهم لا نؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبيلًا ، وبعد أن دار الحديث بينهم انصرف الرسول ﷺ حزينًا لما رأى من قومه.

آية ٩٤ إلى ٩٥ ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ... مَلَكًا رَسُولًا ﴾ تشير الآيات إلى ذريعة عامة في مقابل دعوة الأنبياء ، هل يمكن التصديق بأنّ هذه المهمة والمنزلة الرفيعة تقع على عاتق الإنسان، وأنّ منطق المشركين الواهي الذي تحكيه الآية على لسانهم لا يخص مجموعة ، أو مجموعتين من الناس بل إنّ أكثر الناس وفي امتداد تأريخ النبوة قد تذرع المشركين به في مقابل الأنبياء والرسل.

آية ٩٦ إلى ٩٧ ﴿ قُل كَفَى بِاللهِ... سَعِيرًا ﴾ الآية الأولى تستهدف أمرين الأول: تهدد المعارضين المتعصبين والمعاندين بأن الله خبير بصير ، ويشهد أعمالنا وأعمالكم ، الثاني : هو أنّ الرسول ﷺ أظهر ايمانه القاطع بما قال، الآية التالية تؤكد على أنّ الشخص المهتدي هو الذي قذف الله تعالى الايمان في قلبه.

آية ٩٨ إلى ١٠٠ ﴿ ذَلِكَ جَزَآؤُهُم... قَتُورًا ﴾ هذه الآيات من أوضح الآيات المرتبطة بإثبات المعاد الجسماني ، فالمشركين كانوا يعجبون من إمكانية عودة الحياة إلى العظام النخرة، والقرآن يجيبهم بأنّ القادر على خلق السموات والأرض لديه القدرة على جمع الاجزاء المتناثرة للإنسان وأن يهبها الحياة مرّة أخرى.

آية ١٠١ إلى ١٠٤ ﴿ وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى... لَفِيفًا ﴾ إنّ التعبير القرآني يكشف عن الاسلوب الدعائي التحريضي الذي يستعمله المستكبرون ويتهمون فيه الرسل بسبب حركتهم الاصلاحية الربانية ضد الفساد والظلم ، إذ يصف الظالمون والطغاة دعوتهم (عليهم السلام) بالسحر ، أو ينعتونهم بالجنون ؛ كي يؤثروا من هذا الطريق في قلوب الناس ويفرقوهم عن الأنبياء.

آية ١٠٥ إلى ١٠٩ ﴿ وَبِالحَقِ أنزَلنَهُ.. خُشُوعًا ﴾ مرة أخرى يشير القرآن العظيم إلى قيمة، وعظمة هذا الكتاب السماوي ، ويجيب على بعض ذرائع المعارضين ؛ القرآن كتاب نزل بالحق من قبل الخالق ، وهو محفوظ في جميع مراحله سواء في المرحلة التي كان الوسيط فيها جبرائيل الأمين ، أو المرحلة التي كان الرسول فيها هو المتلقي وبمرور الزمن لا تستطيع

يد التحريف والتزوير أن تمتد إليه.

آية ١١٠ إلى ١١١ ﴿ قُلِ ادعُوا الله... تكبِيرًا ﴾ بعد سلسلة من الذرائع التي تشبثت بها المشركون أمام دعوة الرسول ﷺ نصل مع الآيات التي بين أيدينا إلى آخر ذريعة لهم، وهي قولهم لماذا يذكر رسول الله ﷺ الخالق بأسماء متعددة بالرغم من انّه يدعي التوحيد، وردّ القرآن على أنّ هؤلاء عميان البصيرة والقلب ، غافلون عن أحداث ووقائع حياتهم اليومية، حيث كانوا يذكرون أسماء مختلفة لشخص واحد ، أو لمكان واحد وكل اسم من هذه الاسماء كان يعرف بشطر ، أو بصفة من صفات ذلك الشخص أو المكان.

سورة الكهف

وهي مائة وعشر آيات مكية

محتوى السورة :

تبدأ السورة بحمد الخالق جلّ وعلا ، وتنتهي بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح، ويشير محتواها إلى قضية المبدأ والمعاد والترغيب والإنذار ، وإنّ السورة تشير إلى ثلاثة قصص (قصة أصحاب الكهف، قصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين).

شرح السورة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

آية ١ إلى ٥ ﴿ الحَمدِ لِلّهِ... إلّا كَذِبًا ﴾ تبدأ السورة بحمد الله وبما أنّ الحمد يكون لأجل عمل ، أو صفة معينة ومهمة ومطلوبة ؛ لذا فإنّ الحمد هنا لأجل نزول القرآن الخالي من كل اعوجاج ، هذا الكتاب هو كتاب ثابت ومحكم ، ومعتدل ومستقيم ، وهو يحفظ المجتمع الانساني ويحمي سائر الكتب السماوية ، وتشير الآيات إلى واحدة من انحرافات المعارضين سواء كانوا نصارى ، أو يهود ، أو مشركين ، تحذر النصارى بسبب اعتقادهم بأنّ المسيح ابن الله ، وتحذر اليهود ؛ لأنّهم اعتقدوا بأنّ عزيزًا ابن الله ، وتحذر المشركين لظنهم بأنّ الملائكة بنات الله .

آية ٦ إلى ٨ ﴿ فَلَعَلَكَ باخِعُ .. صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ تشير إلى أحد أبرز شروط القيادة ألا وهي الإشفاق على الأمة ، وتجسد وضع هذا العالم ، وتكشف عن انّه ساحة للاختبار والتمحيص والبلاء ، وتوضح الخط الذي ينبغي أن يسلكه الإنسان ، ثم يبين الله تعالى أنّ اشياء الحياة الدنيا ليست ثابتة ، ولا دائمة بل مصيرها إلى المحو والزوال .

آية ٩ إلى ١٢ ﴿ أَم حَسِبتَ أنّ أصحَاب ... لَبِثُوا أمَدًا ﴾ بداية قصة أصحاب الكهف عبرت عنهم الآيات بأنّهم انموذج ، أو أسوة ، إنّهم مجموعة من الفتية الأذكياء المؤمنين الذين كانوا يعيشون في ظل حياة مترفة بالزينة ، وأنواع النعم إلّا أنّهم انسلخوا من كل ذلك لأجل حفظ عقيدتهم وللصراع ضد الطاغوت ، طاغوت زمانهم ، وذهبوا إلى غار خال من جميع أشكال الزينة والنعم ، وقد أثبتوا بهذا المسلك أمر استقامتهم في سبيل الايمان والثبات عليه .

آية ١٣ إلى ١٦ ﴿ نَّحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ ... أَمرِكُم مِرفَقًا ﴾ تشير الآيات القرآنية إلى أنّ أصحاب الكهف كانوا يعيشون في بيئة فاسدة ، وزمان شاعت فيه عبادة الاصنام والكفر ، وكانت هناك حكومة ظالمة تحمي مظاهر الشرك والكفر والانحراف ، مجموعة أهل الكهف أحسوا بالفساد ، وقرروا القيام ضدّ هذا المجتمع ، وفي حال عدم تمكنهم من المواجهة والتغير فإنّهم سيهجرون هذا المجتمع والمحيط الفاسد ، وإنّ هؤلاء الفتية المؤمنين ذكروا دليلًا واضحًا لإثبات التوحيد ونفي الآلهة .

آية١٧ إلى ١٨ ﴿ وَتَرَى الشَمسَ ... مِنهُم رُعبًا ﴾ يشير في هذه الآيتين إلى عدة خصوصيات هي ، أولًا : فتحة الغار كانت باتجاه الشمال ، لم يكن ضوء الشمس يصل إلى أجسادهم بشكل مباشر، وهو أمر لو حصل فقد يؤدّي إلى تلف أجسادهم ، ثانيًا : لقد كان اولئك في مكان واسع من الغار ، وهذا يدل على أنّهم لم يأخذوا مستقرًّا في فتحة الغار التي تتسم بالضيق عادة بل إنّهم انتخبوا وسط الغار مستقرًا لهم ؛ كي يكونوا بعيدين عن الأنظار وبعيدين عن الاشعة المباشرة لضوء الشمس ، ثالثًا : إنّ نوم أصحاب الكهف لم

يكن نومًا عاديًا بل من الحالات الاستثنائية ؛ لكي لا تقترب منهم الحيوانات المؤذية التي تخاف الإنسان اليقظ ، أو لكي يكون شكلهم مرعبًا ؛ كي لا يتجرأ إنسان على الاقتراب منهم وهذا بنفسه اسلوب للحفاظ عليهم ، رابعًا : حتى لا تتهرأ أجسادهم بسبب السنين الطويلة التي مكثوا فيها نيامًا في الكهف .

آية ١٩ إلى ٢٠ ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثنَاهُم ... إذًا أَبَدًا ﴾ إنّ نوم أصحاب الكهف كان طويلًا للغاية بحيث استمر ٣٠٩ سنة ، وعلى هذا الأساس كان نومهم أشبه بالموت ويقظتهم أشبه بالبعث ، وذكر في القرآن مثلما كنا قادرين على جعلهم ينامون نومًا طويلًا فإنّنا أيضًا قادرون على إيقاظهم .

آية ٢١ ﴿ وَكَذَلِكَ أَعثرنَا ... مِن هَذَا رَشَدًا ﴾ لقد وصلت بسرعة أصداء هجرة هذه المجموعة من الرجال المؤمنين إلى كل مكان ، وأغاظت بشدة الملك الظالم ؛ لذلك أصدر الحاكم تعليماته إلى جهاز شرطته للبحث عن أصحاب الكهف في كل مكان ، وعليهم أن يتبعوا آثارهم حتى إلقاء القبض عليهم ومعاقبتهم ، وهو قيام مجموعة من ذوي المناصب في الدولة بترك مواقعهم العالية في الدولة وتعريض أنفسهم للخطر ، هو بحد ذاته سببًا ليقظة الناس ومصدرًا لوعيهم ، أو لوعي قسم منهم على الأقل ، وإنّ قصة هؤلاء النفر قد استقرت في صفحات التاريخ ، وأخذت الاجيال والاقوام تتناقلها عبر مئات السنين ، وإنّ عدد أصحاب الكهف الحقيقي هو سبعة .

آية ٢٥ إلى ٢٧ ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهفِهِم ... مُلتَحَدًا ﴾ هذه القصة التاريخية العجيبة التي يذكرها القرآن خالية من أيّ خرافة أو وضع ، وفيها العديد من الدروس التربوية ، وإنّ أول درس هو تحطيم حاجز التقليد ، الهجرة من الأوساط المنحرفة ، التقية بمعناها البناء، عدم وجود تفاوت بين الناس وهم في طريق الله ، الامدادات الإلهية العجيبة عند ظهور المشاكل ضرورة الاعتماد على مشيئة الله وطلب العون من لطفه ، ضرورة النقاش المنطقي مع المعارضين ، فإنّ امكانية المعاد الجسماني وعودة الناس إلى الحياة مرة أخرى عند البعث، وإنّ هدف القرآن ليس قصّ القصص لغرض التسلية بل بناء الناس المقاومين المؤمنين

الشجعان الواعين .

آية ٢٨ إلى ٣١ ﴿ وَاصبِر نَفسَكَ ... وَحَسُنَت مُرتَفَقًا ﴾ إنّ مقياس قيمة البشر ليست بالمنصب الظاهري ، أو بالثروة بل عندما يكون الميسر في سبيل الله يتساوى الوزير والراعي والآيات التي نبحثها تؤكد على ذلك ، وفي هذه الدنيا تتوفر لديهم أنواع المشروبات التي تحضر بين أيديهم بمجرد مناداة الساقي ، وفي جهنم يوجد أيضًا ساقٍ وأشربة ، امّا ما هو نوع الشراب ؟ إنّه ماء كالمعدن المذاب ! حرارته كحرارة دموع الايتام ، وآهات المستضعفين، والفقراء الذين ظلمهم هؤلاء الأغنياء ، نعم إنّ كل ما هو موجود هناك (في الآخرة) هو تجسيد لما هو موجود هنا (في الدنيا) .

آية ٣٢ إلى ٣٦ ﴿ وَاضرِب لَهُم مَثَلًا رَجُلَينِ... مِنهَا مُنقَلَبًا ﴾ الآيات التي نبحثها تشير إلى حادثة اثنين من الأصدقاء ، أو الأخوة الذين يعدّ كل واحدٍ منهم مثالًا لإحدى المجموعتين؛ أمّا البستان والمزرعة كان فيهما كل شيء العنب ، والتمر ، والحنطة وباقي الحبوب ، لقد كانت مزرعة كاملة وفيها كل شيء ، والأهم من ذلك هو توفّر الماء الذي هو سرّ الحياة وأمرٌ مهمٌ لا غنى للبستان والمزرعة عنه ، على هذا الأساس كانت لصاحب البستان أنواع من الثمار؛ ولأنّ الدنيا قد استهوته فقد أصيب بالغرور لضعف شخصيته ، وشعر بالأفضلية والتعالي على الآخرين ، لقد تضخم هذا الاحساس ونما تدريجيًا ، ووصل صاحب البستان إلى حالة بدأ يظن معها أنّ هذه الثروة والمال والجاه إنّما هي أمور أبدية فدخل الغرور إلى نفسه ، ونظر إلى اشجاره الخضراء التي كادت أغصانها أن تنحني من شدة ثقل الثمار ، وسمع صوت الماء الذي يجري في النهر القريب من البستان والذي كان يسقي اشجاره ، وبغفلة قال : لا اظن أنّ هذا البستان يفنى ، لذا فكر في انكار القيامة ثم أضاف : حتى لو فرضنا وجود القيامة فإنّي بموقعي ووجاهتي سأحصل عند ربي .. ، لقد اخذ صاحب البستان يضيف إلى نفسه في كل فكرة وهمًا بعد آخر ، وعند هذا الحد انبرى له صديقه المؤمن وأجابه بكلمات يشرحها لنا القرآن الكريم .

آية ٣٨ إلى ٤١ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ... لَهُ طَلَبًا ﴾ جواب المؤمن لقد بدأ بالكلام بعد أن

ظلّ صامتًا يستمع إلى كلام ذلك الرجل ذي الافق الضيّق والفكر المحدود حتى ينتهي من كلامه ، تعمد الرجل الموحد المؤمن إلى تحطيم كفر وغرور ذلك الرجل فقال : إنّك تتباهى بدنياك وأنا افتخر بعقيدتي وإيماني وتوحيدي ، وقد وضع سبحانه وتعالى الوسائل والإمكانات تحت تصرفك حيث إنّك لا تملك شيئًا من عندك ، وبدونه تكون لا شيء ليس من المهم أن أكون أقل منك مالًا وولدًا ، وليس فقط يعطيني أفضل ما عندك بل ويرسل صاعقة من السماء على بستانك فتصبح الارض الخضراء أرض محروقة جرداء.

آية ٤٢ إلى ٤٤ ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ... وَخَيرٌ عُقبًا ﴾ انتهى الحوار بين الرجلين دون أن يؤثر الشخص المؤمن في أعماق الغني المغرور الذي رجع إلى بيته وهو يعيش الحالة الروحية ، والفكرية نفسها ، وهو غافل أنّ الأوامر الإلهية قد صدرت بإبادة بساتينه الخضراء ، وأنّه وجب أن ينال جزاء غروره وشِركه في هذه الدنيا ؛ لتكون عاقبته عبرة للآخرين ، ويحتمل أنّ العذاب الإلهي قد نزل في تلك اللحظة من الليل عندما خيمّ الظلام على شكل صاعقة مميتة ، أو عاصفة هوجاء مخيفة ، أو على شكل زلزال مدمر ، وأيًّا كان السبب فقد دمّرت هذه البساتين الجميلة والأشجار العالية ، والزرع المثمر حيث أحاط العذاب الإلهي بتلك المحصولات من كل جانب .

آية ٤٥ إلى ٤٦ ﴿ وَاضرِب لَهُم مَثَلَ ... وَخَيرٌ أَمَلًا ﴾ الآيات السابقة تحدثت عن عدم دوام نعم الدنيا ، ولأنّ إدراك هذه الحقيقة في عمر (٦٠-٨٠) سنة يعتبر أمرًا صعبًا بالنسبة للأفراد العاديين ؛ لذا فإنّ القرآن قد جسّد هذه الحقيقة عبر مثال حي ومعبرّ كي يستيقظ الغافلون المغرورون من غفلتهم ونومهم ، عندما يشاهدون تكرار هذا الأمر عدة مرّات في عمرهم ، فضرب الله مثلًا ، هذه القطرات الواهبة للحياة تسقط على الجبال والصحراء ، وتعيد الحياة للبذور الكامنة في الارض المستعدة بدورها لتبدأ حركتها التكاملية .

آية ٤٧ إلى ٤٩ ﴿ وَيَومَ نُسَيرُ الجِبَالَ ... رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ يصب المقطع الراهن من الآيات على تبيان المراحل المهمة للقيامة وفق الترتيب الآتي: مرحلة ما قبل بعث الانسان ، مرحلة البعث ، قسم من مرحلة ما بعد البعث ، تذكر الإنسان بمقدمات البعث والقيامة فتقول

إنّ انهيار معالم الشكل الراهن للعالم هي اوّل مقدمات البعث ، و المستفاد من مجموعة تلك السور : هو أنّ وجه العالم الراهن يتغير بشكل كلي حيث تتلاشى الجبال ، وعلى حطام كل ذلك تظهر إلى الوجود سماء جديدة وأرض جديدة ، ليبدا الإنسان حينئذ حياته الاخرى في مرحلة البعث والحساب .

آية ٥٠ إلى ٥٣ ﴿ وَإِذ قُلنَا لِلمَلَائكَةِ اسجُدُوا ... واعَنهَا مَصرِفًا ﴾ لا تتخذوا الشياطين أولياء ، لقد تحدثت الآيات مرات عدة عن خلق آدم وسجود الملائكة له وعصيان إبليس ؛ ولأنّ الآيات السابقة ذكرت مثالًا واقعيًا عن كيفية وقوف الأثرياء المستكبرين والمغرورين، في مقابل الفقراء المستضعفين وتجسّد عاقبة عملهم ، ولأنّ الغرور كان هو السبب الأصلي لانحراف هؤلاء وانجرارهم إلى الكفر والطغيان ؛ لذا فإنّ الآيات تعطف الكلام على قصة إبليس وكيف أبى السجود لآدم غرورًا منه وعلوًا وكيف قاده هذا الغرور والعلو إلى الكفر والطغيان ، فضلًا عن ذلك فإنّ هذه القصة توضح إنّ الانحرافات تنبع من وساوس الشيطان ، والاستثناء يمكن أن يوهمنا بأنّ إبليس كان من جنس الملائكة في حين أنّ الملائكة معصومون ، وإنّه لم يكن من الملائكة لكنه بسبب عبوديته وطاعته للخالق جلّ وعلا قرّب ، وكان في صف الملائكة إلّا أنّه بسبب لحظة من الغرور والكبر سقط وأصبح أكثر الموجودات نفرة وابتعادًا عن الله تبارك وتعالى .

آية ٥٥ إلى ٥٦ ﴿ وَلَقَد صَرَّفنَا ... أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾ تنطوي هذه الآيات على تلخيص واستنتاج لما ورد في الآيات السابقة ، لقد ذكرنا نماذج من تأريخ الماضين المليء بالإثارة ، وقد أوضحنا للناس الحوادث المرّة للحياة واللحظات الحلوة في التاريخ ، وفصّلنا بيان هذه الأمور بحيث تتقبلها القلوب المستعدة للحق ، وتكون الحجة على الآخرين تامة ، ولا يبقى ثّمة مجال للشك ، لكن بالرغم من هذا فإنّ مجموعة عصاة لم يؤمنوا أبدًا ، الآية التي بعدها تقول : إنّه بالرغم من كل هذه الأمثلة المختلفة ، والتوضيحات المثيرة ، والاساليب المختلفة التي ينبغي أن تنفذ إلى داخل الانسان المستعد لقبول الحق ، فإنّ هناك مجموعة كبيرة من الناس لم تؤمن ، وإنّ هذه الآية إشارة إلى أنّ هذه المجموعة المعاندة والمغرورة لا تؤمن

بإرادتها وبشكل طبيعي أبدًا بل هم يؤمنون في حالتين فقط : أولًا عندما يصيبهم العذاب الأليم الذي نزل مثله في الأقوام والأمم السابقة ، ثانيًا : عندما يشاهدون العذاب الإلهي بأعينهم وأن هذا الإيمان هو إيمان عديم الفائدة .

آية ٥٧ إلى ٥٩ ﴿ وَمَن أَظلَمُ مِمَّن ... لِمَهلِكِهِم مَّوعِدًا ﴾ الآيات تستمر بالبحث نفسه، وإنّ استخدام كلمة ذكّر يوحي إلى أنّ تعليمات الأنبياء ﷺ هي بمثابة التذكير بالحقائق الموجودة بشكل فطري في اعماق الإنسان ، وإنّ مهمة الأنبياء هي رفع الحجب عن نقاء وشفافية هذه الفطرة ،الطريف في الأمر أنّها رسمت ثلاث مسالك ليقظة هؤلاء وإعادتهم إلى نور الهداية هي ، أولًا : إنّ هذه الحقائق تلائم بشكل كامل ما هو مكنون في فطرتكم ووجدانكم وأرواحكم ، ثانيًا : إنّها جاءت من قبل خالقكم ، ثالثًا : عليكم أن لا تنسوا انّكم اقترفتم الذنوب ، وأنّ منهاج عمل الانبياء هو فتح باب التوبة من الذنوب والهداية للصواب ، لكن هذه الفئة من الناس لا تؤمن رغم كل ذلك ، إنّ البرنامج التربوي للخالق جلّ وعلا هو أن يعطي لعباده الفرصة بعد الأخرى ، وهو لا يعاقب بشكل فوري مثل الجبّارين والظالمين بل إنّ رحمته الواسعة تقتضي دومًا إعطاء أوسع الفرص للمذنبين .

آية ٦٠ إلى ٦٤ ﴿ وَإِذ قَالَ مُوسَى ..ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ فإنّ قصة موسى والخضر لها ابعاد عجيبة أخرى ، ففي القصة نرى مشهدًا عجيبًا نرى فيه نبيًا من أولي العزم بكل وعيه ومكانته في زمانه ، يعيش محدودية في علمه ومعرفته من بعض النواحي ، وهو لذلك يذهب إلى معلم هو عالم زمانه ؛ ليدرس ويتعلّم على يديه ، وإنّ المعني بالآية هو بلا شك موسى بن عمران عليه السلام النبي المعروف من أولي العزم ، أمّا المعني من فتاه هو يوشع بن نون الرجل الشجاع الرشيد المؤمن من بني إسرائيل ، وإنّ موسى وصاحبه بعد أن جاوزا مجمع البحرين شعرا بالجوع ، وفي هذه الاثناء تذكّر موسى ﷺ أنّه قد جلب معه طعامًا ، أنّ هذه الجملة تظهر أنّ موسى ويوشع قد سلكا طريقًا يمكن أن نسميه بالسفر إلّا أنّ هذه الآيات نفسها تفيد أنّ هذا السفر لم يكن طويلًا ؛ ولأنّ هذا الحادث والموضع بشكل عام كان علامة لموسى ﷺ ؛ لكي يصل عن طريقه إلى موقع (العالم) الذي خرج يبحث عنه .

آية ٦٥ إلى ٧٠ ﴿ فَوَجَدَا عَبدًا مِّن ... لَكَ مِنهُ ذِكرًا ﴾ إنّ هذا الرجل العالم كان يحيط بأبواب من العلوم التي تخصّ أسرار وبواطن الأحداث ، في حين أنّ موسى ﷺ لم يكن مأمورا بمعرفة البواطن وبالتالي لم يكن يعرف عنها الكثير ، في مثل هذه الحالة يفقد الشخص الذي ينظر إلى الظاهر صبره وتماسكه فيقوم بالاعتراض وحتى بالتشاجر وقد يكون موسى ﷺ اضطرب عندما سمع هذا الكلام ، وخشي أن يحرم من فيض هذا العالم الكبير ؛ لذا فقد تعهّد بأن يصبر على جميع الحوادث ، مرة أخرى كشف موسى ﷺ عن قمة أدبه في هذه الآية ، فقد اعتمد على خالقه حيث لم يقل للرجل العالم : إنّي صابر ، بل قال: إن شاء الله ستجدني صابرًا .. ولأنّ الصبر على حوادث غريبة وسيئة في الظاهر والتي لا يعرف الإنسان أسرارها ، ليس بالأمر الهين ؛ لذا فقد طلب الرجل العالم من موسى ﷺ أن يتعهد له مرّة اخرى وحذره ، وقد أعطى موسى العهد مجددًا وانطلق مع العالم .

آية ٧١ إلى ٧٨ ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا ... عَلَيهِ صَبرًا ﴾ لقد ذهب موسى وصاحبه وركبا السفينة ، بحكم كون موسى ﷺ نبيًا مبعوثًا فقد كان من جانب يرى أنّ من واجبه الحفاظ على أرواح وأموال الناس ، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ومن جانب آخر كان وجدانه الإنساني يضغط عليه ، ولا يدعه يسكت أمام أعمال الرجل العالم التي يبدو ظاهرها سيئًا قبيحًا ؛ لذا فقد نسي العهد الذي قطعه للخضر (العالم) فاعترض في هذه الاثناء نظر الرجل العالم إلى موسى ﷺ نظرة خاصة وخاطبه ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِي صَبرًا ﴾ ، أمّا موسى الذي ندم على استعجاله ، بسبب أهمية الحادثة فقد تذكّر عهده الذي قطعه لهذا العالم الاستاذ ، قال لقد أخطأت ونسيت الوعد فلا تؤاخذني بهذا الاشتباه ، لقد انتهت سفرتهم البحرية وترجّلوا من السفينة وقد تم ذلك من دون مقدمات ، وهنا ثار موسى ﷺ مرة أخرى حيث لم يستطع السكوت على قتل طفلٍ بريء بدون أي سبب ، وظهرت آثار الغضب على وجهه وملأ الحزن ، وعدم الرضا عينيه ونسي وعده مرّة أخرى، فقام للاعتراض وكان اعتراضه هذه المرّة أشد من اعتراضه في المرّة الأولى ؛ لانّ الحادثة هذه المرة موحشة أكثر من الاولى ، فقال : إنّك قتلت انسانًا بريئًا من دون أن يرتكب جريمة

قتل ، ومرّة أخرى كرّر العالم جملته السابقة التي اتسمت ببرود خاص حيث قال لموسى ﷺ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَكَ إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِي صَبرًا ﴾ تذكّر موسى تعهده فانتبه إلى ذلك وهو خجل ، حيث أخلّ بالعهد مرتين ، وبدأ تدريجيا يشعر بصدق عبارة الاستاذ في أنّ موسى لا يستطيع تحمل أعماله ؛ لذا فقد بادر إلى الاعتذار وقال : إذا اعترضت عليك مرّة أخرى فلا تصاحبني وأنت في حلّ منّي ، بعد هذا الكلام والعهد الجديد والمقصود من كلمة قرية هو مدينة (الناصرة) ، أو ميناء (أيلة) ما جرى لموسى ﷺ وصاحبه من أهل هذه المدينة أنّهم كانوا لئامًا ضعيفي الهمّة ، شاهد موسى كيف أنّ الخضر قام بترميم الجدار بالرغم من سلوك أهل القرية القبيح إزاءهما ، وكأنّه بذلك اراد أن يجازي أهل القرية بفعالهم السيئة، وكان موسى يعتقد بأنّ على صاحبه أن يطالب الأجر على هذا العمل ؛ حتى يستطيعا ان يعدّا لأنفسهما طعامًا ؛ لذا فقد نسي موسى ﷺ عهده مرّة أخرى وبدأ بالاعتراض ، إلا أنّ اعتراضه هذه المرّة بدا خفيفًا ، وهنا قال الرجل العالم كلامه الأخير لموسى ، بأنّك ومن هذه الحوادث المختلفة لا تستطيع معي صبرًا .

الخاتمة

ثمة نتائج تمخض عنها البحث أوجزها فيما يأتي :

١ – العناد الذي اتخذه المشركون تجاه الحق وكتاب الله ورسوله ، هو الذي سبب هلاكهم لما فيه من عصيان لأوامر الله وعدم التسليم لها .

٢ – تبيّن أنّ القرآن الكريم يمثل أقصر طرق الاستقامة والثبات والهداية .

٣ – حارب القرآن الكريم صفتي التكبر والغرور ونهى المؤمنين عنها .

٤ – اتضح أنّ قضية بعث عظام الانسان سهلة وممكنة بالنسبة للباري عز وجل وعظمته، بل أكثر من ذلك فحتى لو كان أشد من الحجر والحديد ، وأبعد منهما عن الحياة فإن البعث سيكون مصيره .

٥- أنّ افضل وسيلة لطرد غواية الشيطان من قلب وروح الإنسان هي الارتباط بالله تعالى عن طريق الصلاة والدعاء .

٦- أنّ قصة أصحاب الكهف من هؤلاء الفتية قد استقرت في صفحات التاريخ وأخذت الاجيال تتناقلها عبر مئات السنين ، وتستلهم منهم العبر ؛ لأنّهم وقفوا بوجه الطغاة والظالمين ، ودعوا إلى نصرة دين الله ، وعدم وجود تفاوت بين الناس وهم في طريق الله .

٧- اتصاف الانسان بالغرور هو السبب الأساس لانحرافه وانجرافه إلى الكفر والطغيان ، وإنّ الانحرافات تنبع من وساوس الشيطان .

٨- أنّ العجلة وعدم الصبر يؤدي إلى الندم كما ذكر في قصة النبي موسى عليه السلام والعالم الخضر .

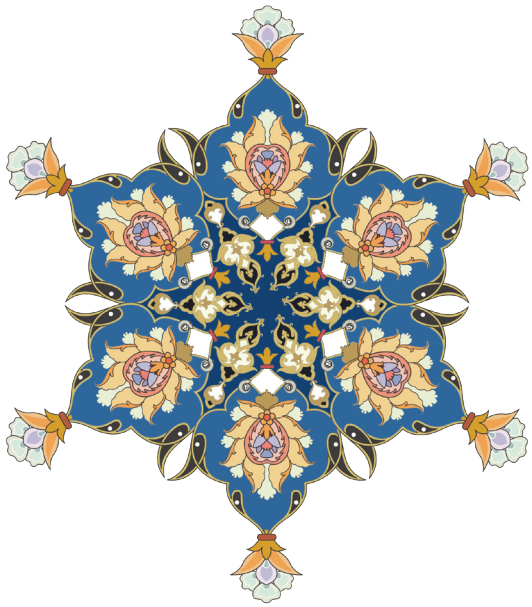

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ